فن الكاريكاتير في الصحف الليبية

عرض / ابتسام اغفير.

تقديم

علاقة الإنسان بالعلامة . التي منها الرسم . علاقة عريقة، تعود جذورها إلى بدايات الحياة على هذا الكوكب، ولعل الحضارات على اختلاف نزوعها وأصولها تلتقي في توسلها جميعاً بالرسم وبأشكاله المختلفة لرصد وتوثيق حياتها، فكان التعبير بالرسم سابقاً على كثير من أنواع التعابير الأخرى.

ومع تطور الحياة وتقدم الإنسان باطراد في مختلف مناحي حياته؛ تطورت وسائل الاتصال والتواصل بينه وبين أفراد جماعته، والجماعات الأخرى، فكان أن ظهرت اللغة التي هي أساس التفاهم بين البشر على اختلاف ألوانها، ولما كان الإنسان بحاجة إلى توسيع دائرة اتصاله فقد ابتكر الصحافة المكتوبة، التي تعد أقدم وأهم وسيلة للإعلام والاتصال؛ حيث ترتكز في خطابها ومشروعها على (مرسل، رسالة، مرسل إليه) .

واعتمدت الصحافة كل السبل والوسائل التي تمكنها من بلوغ غاياتها، التي هي جذب أكبر عدد من المتلقين، لذلك عملت جاهدة على تطوير تلك السبل، ومنها استخدام الصور والرسوم، ويعدّ فن الكاريكاتير أحد فنون التحرير في الصحيفة، وأكثرها قدرة على الاتصال الفعال المؤثر في الجمهور؛ وذلك للروح التي تشع منه، المتسمة بالطرفة والإضحاك، حيث تحدث المتعة عند القارئ وترسخ الفكرة في ذهنه.

وفن الكاريكاتير فنٌّ تحريري قائمٌ بذاته يحمل كثيراً من الدلالات، التي يصعب في كثير من الأحيان وضعها في رموز لغوية، قد تحتل مساحات كبيرة من صفحات الصحف، وتجعل قارئ اليوم الذي يميل إلى العجلة في كل شيء لا يتوقف عندها لقراءتها، إن هذه الدلالات التي يحملها الرسم الساخر يمكن تبينها من خلال حركة الخط وطرق التظليل، وتعابير وجوه الأشخاص المتمثلة في التضخيم والمبالغة، والتركيز على بعض ملامح الوجه كالأنف والأذنين أو تضخيم الرأس.

لقد مر هذا الفن بعدة مراحل قبل أن يصل إلى أعمدة الصحافة، ويصبح أحد أهم فنونها؛ حيث ترجع بداياته الأولى إلى الرسومات الموجودة على جدران الكهوف والمعابد، التي ابتكرها الإنسان الأول كوسيلة اتصال وتواصل بين أفراد جماعته، والجماعات الأخرى.

كتاب فن الكاريكاتير في الصحف الليبية يعد الكتاب الثاني الذي يؤرخ لفن الكاريكاتير في ليبيا بعد كتاب تاريخ الرسم الساخر في ليبيا، لمؤلفه علي محمد الاصفر الذي يسرد السير الذاتية للفنانين الليبيين الذين نشروا الكاريكاتير في الصحف الليبية، في مرحلته الأولى عام 1946 على يد الفنان فؤاد الكعبازي، إلى المرحلة التي اسماها المؤلف مرحلة ما بعد الثالثة التي بدأت من عام 1955 إلى عام 1975م.

جاء كتاب فن الكاريكاتير في الصحف الليبية في 155 صفحة، وقُسم إلى أربعة فصول، وصدر في طبعته الأولى عام 2010م عن مداد للطباعة والنشر والتوزيع والإنتاج الفني طرابلس ليبيا، من تأليف ابتسام امراجع اغفير.

الكتاب عبارة عن محاولة عن البحث عن تاريخ فن الكاريكاتير في الصحف الليبية على الرغم من أنه طُرح لأول مرة كرسالة ماجستير في شعبة الصحافة، قسم الإعلام بكلية الآداب جامعة قاريونس عام 2005م وقد لاقت كثيرا من النقد بسبب تطرقها في منهجها الوصفي الى التأريخ لهذا الفن، وركزت عليه بشدة على الرغم من أن الرسالة مقدمة للصحافة، على الرغم من أنها طرحت في جانبها التحليلي على الدراسة التحليلية للصحف الليبية التي تنشر هذا الفن في الفترة من 2000 إلى 2002 م.

وتمّيز فن الرسم الساخر عن باقي فنون التحرير الصّحافي بالمبالغة، والتحوير للشخصيات والظواهر بأسلوب ساخر ضاحك، ويؤدي هذا الفن وظائف الإعلام والشرح والتسلية والتعليم، مثله في ذلك مثل أي فن صحافي آخر، إضافة إلى وظائفه التي يؤديها مستقلاً عن باقي الفنون الصحفية، التي منها لفت انتباه الجهات المسؤولة إلى عيوبها عن طريق السخرية منها، التنبؤ بالمستقبل، وتثبيت فكرة في ذهن المتلقي، أيضاً يسعى إلى تغيير سلوك ما.

إضافة إلى أنواعه وأنماطه التي شاعت وانتشرت حسب مضمونه؛ مثل تطرقه للموضوعات السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية، النوعية ،... إلخ ، و حسب شكله مثل تناوله

لموضوعه ؛ إما بالخطوط المبسطة التي تعرض الفكرة مباشرة ، أو عن طريق اللوحة المزدحمة بالتفاصيل ، أو الصورة الساخرة.

ولا يختلف فن الرسم الساخر في أهميته (أداء وظائفه، أنواعه، خصائصه، وحتى بدايات تطوره، وظهوره في ليبيا) عن غيره من أقطار الوطن العربي.

تناول الكتاب في الفصل الأول له جذور فن الكاريكاتير في الفنون التشكيلية كمدخل للكتاب، بالإضافة إلى التعرف على ماهية فن الكاريكاتير ونشاته وتطوره وعلاقته بالصحافة، كما تطرق الكتاب إلى الحديث عن بداية هذا الفن في الوطن العربي، وعلاقته بالرسوم المتحركة.

في الفصل الثاني تحدث الكتاب عن جذور الفن التشكيلي في ليبيا كمدخل لمعرفة جذور فن الكاريكاتير بها، إذا اعتبرنا ان هذا الفن كانت بدايته بعيدة عن الصحافة كونه يعد أحد أنواع الفنون التشكيلية.

وتناول الكتاب تعريف فن الكاريكاتير بحسب ما أورده الفنان الراحل محمد الزواوي، ومن ثم تضمن الكتاب نشأة فن الكاريكاتير في ليبيا منذ ظهور أول رسومات ساخرة على الصحف الصادرة في ليبيا كان أولها بصحيفة أبوقشة، مرورا بصحيفة الحقيقة الصادرة عام 1939 م، وصولا الى أب فن الكاريكاتير في ليبيا فؤاد الكعبازي الذي اصدر أول مجلة ليبية تنشر رسومات ساخرة اسمها المرآة عام 1946م، وطرح الكتاب مرحلة التطور حتى عام 2005 م، وقت الانتهاء من العمل عليه، كما عرض الكتاب بداية الرسوم المتحركة في ليبيا وعلاقتها بالكاريكاتير .

الفصل الثالث تضمن الحديث عن الأهمية الوظيفية لفن الكاريكاتير بصفة عامة، والفصل الرابع تحدث عن خصائص والأنواع، وتضمن أيضا الحديث عن التعليق المصاحب لرسوم الكاريكاتير الذي يعده الكثيرون افلاس كبير للرسام، كما تناول علاقة فن الكاريكاتير بالكمبيوتر، وتناول كذلك ميزات رسام الكاريكاتير والمشاكل التي تواجهها، كما تم التطرق إلى الصعوبات التي تواجه فن الكاريكاتير بصفة عامة وليبيا بصفة خاصة.